**أوجاع بلون الحياة**

**موريس ماتيو**

**2010/ باريس**

لا يمكن تأمل أعمال كريم سيفو دون العودة إلى تاريخ الفن العراقي، فالتأثير الفرنسي واضح منذ ثلاثينيات القرن الماضي، وبالذات عندما درس الفنانون الأوائل في باريس ولندن وروما. لقد أسهمت الانطباعية الفرنسية من جانبها في إغناء الفن العراقي. ومنذ ذاك الحين أصبحت مواكبة ما كان يرسم ويعرض في باريس من معارض أو مختارات متحفيه لـ (ميرو، جياكومتي، ماتيس، بيكاسو، ديبوفيه) أو للكثير من الفنانين الأجانب الذين عاشوا في فرنسا أنذاك ملهماً للفنانين القادمين من العراق في تطوير منتجاتهم. وتركت الانطباعية والتكعيبية والتعبيرية الفرنسية بصمات واضحة على مجمل الحركة التشكيلية العراقية منذ بداياتها حتى ظهور الحركات الفنية الحديثة في الخمسينيات.

ولكن كيف لفنان أن يعيد المشروع التصويري بعد تدمير العراق أثر حربين مدمرتين؟ هذا هو السؤال الذي طرحه الفنان كريم سيفو على نفسه. معبراً عن جمالية الموجودات العراقية وألوانها باحتفالية رائعة ومبهجة مع هامش يشير إلى إمكانية التفكير في إعادة البناء أمام كل شيء دُمر، حاول هو كفنان وإنسان استعادته بالرسم، كما حاول أن يمزج بين (أوجاع بلون الحياة) وبين ترميم (متحف الآثار العراقي) وبين (ذاكرة شعب بين الحرب والسلام)، مثلما ظل يسافر عبر تاريخ بلاده كما فعل (بول كلي) عندما تجول عبر تونس.

أعمال كريم سيفو مقطعة، مفككة وهي بانتظار إعادة تركيبها، أنها ذاكرة شعب مثلما هي أيضاً (ذكريات إنسان) وهي التي ستنبثق من بين أسس إعادة الحياة هناك. أنه يلصق في رسومه أوراق الجرائد مثل صحف (اللوموند ديبلوماتيك والليبراسيون أو صحف أخرى) يمزقها ويفككها قبل أن يغطيها بالألوان تاركاً لعين المشاهد التواريخ والأحداث...الخ، وذلك لتعيين الزمن المحدد الذي تم فيه العمل التصويري، أي لتحفيز ذاكرة الناس ومحاولة إعادة هيكلة رؤى جديدة. إن الرسم بالنسبة لكريم سيفو، عبارة عن كتابة (يوميات)، كما يقول الإنكليز. ما ينجزه هو كتاب يوميات ذات رؤى مستقبلية.

اللوحات التي يعرضها كريم سيفو في بغداد كانت قد رسمت في باريس (أكريليك على كتب أو صحف قديمة) وهو حتى أثناء بحثه عن اللامرئي كرسام معاصر ظلت بغداد بتراثها وحضارتها هاجسه اليومي. يتصفح كتباً معمارية وتاريخية عن العراق وبغداد فيعثر على صور أبواب وشبابيك بغداد القديمة في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين فيصورها ويلصقها ويرسم فوقها، و يعيد تكوينها برؤى جديدة حتى تستعيد تلك الأبواب شكلها وروحها.

و لكن ما الذي جلبته له السنين الأربع التي قضاها في باريس؟

أولاً وقبل كل شئ أعطته جرأة إضافية لتحسين تقنية العمل استطاع بواسطتها التعبير بشكل أفضل عن أفكاره، كما توصل عبر التمزيق والتلصيق إلى حرية أكبر في إختيار المواد، وكذلك إلى إستقلالية في الإختيار والتجريب.

وعبر حياة اجتماعية غنية تنوعت رؤاه، فالمعارض كثيرة في باريس والتنوع واسع وكبير. أما الحوارات مع الفنانين فقد منحته قوة إضافية لإغناء عمله الفني، إثراء بالرؤى مع نقد ونصائح متقاطعة، يا له من مشروع طموح وصعب ذلك الذي أقدم عليه، لقد استطاع كريم سيفو أثناء عمله في باريس أن يقوم بتجديد جذري لتعامله مع المواد الفنية وحتى لطريقته في الرسم. وهو الآن في طور البحث عن اللامرئي ليعيد بغداد والعراق للتمظهر بحياة جديدة.

من السهل فهم رغبة كريم سيفو لعرض أعماله في بغداد بعد أربع سنوات من غيابه عنها، ومن الممكن لإصدقائه وزملائه العراقيين والفرنسيين معرفة السر وراء ما يمكن أن يأمله من هذا المعرض.

أليس من واجب الفنان أن يعرض أعماله أمام أنظار الذين أنجزها لأجلهم؟